

التقديم والتأخير في خطبة السيدة الزهراء (ع) مقاربة دلالية

Presentation and delay in the sermon of Mrs. Zahra
Semantic approach

Lectur . Dr. Meathaq Ali Abdul Zahra
Alsimari
Iraq / Basra Education Directorate
Meathaq79@gmail.com

م. د. ميثاق علي عبد الزهرة الصيمري
العراق / مديرية تربية البصرة

تاريخ النشر: 2025/1/1 تاريخ القبول: 2024/11/16 تاريخ الإستلام: 2024/10/19
Receivied: 19 / 10 / 2024 Accepted: 16 / 11 / 2024 Published: 1 / 1 / 2025

والتأخير يمثل ملمحاً أسلوبياً واضحاً في خطبة السيدة الزهراء -عليها السلام-؛ لأنه عدول عن القاعدة العامة، وذلك بتحويل الألفاظ عن مواقعها الأصلية لغرض يتطلبه المقام. وإنَّ محاولة تغيير أماكن بعض الكلمات في النصوص التي ورد فيها هذا الملمح الأسلوبية سيؤدي إلى ذهاب الجمال الفني الذي نتج عن الاختيار الدقيق للمفردات واختيار

ملخص
هذه الدراسة محاولة متواضعة للكشف عن دلالات التقديم والتأخير في خطبة السيدة الزهراء، والاقتراب من مراداتها في استعمال هذا الأسلوب الذي يعبر عن مدى تحكمها بحرية في تغيير مواقع الكلمات في التراكيب اللغوية، للوصول إلى المعاني المطلوبة. وقد اتضح من البحث أنَّ التقديم

the required meanings. The research revealed that the presentation and the delay were a clear stylistic feature of Mrs. Zahra's sermon. Because it is a departure from the general rule, by diverting the words from their original positions for a purpose required by the denominator. The attempt to change the places of some words in the texts in which this stylistic feature is mentioned will lead to the disappearance of the artistic beauty that resulted from the careful selection of the vocabulary and the selection of their positions within the structures. This reveals an exceptional mentality and a superior ability to act in compositions, a precise experience with meaning and methods of producing it. Especially if we take into consideration the circumstances of the text's production. It was issued by a woman in the prime of life, in a society that despised the female and did not place her fornication, as the Lady Zahra stood in the middle of the mosque, in the presence of a large crowd of immigrants and supporters, a position that does not allow her to choose words or compositions to perform meanings that shake in her chest, however We find her improvised sermon with a high content, and she gave it a priori without prior preparation, and it addresses the mind

مواقعها داخل التراكيب. وهذا يكشف عن ذهنية فذة و قدرة فائقة على التصرف بالتراكيب، وخبرة دقيقة بالمعنى وطرق انتاجه، و لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار ظروف انتاج النص. فقد صدر من امرأةٍ في مقتبل العمر، و في مجتمعٍ كان يحتقر الأنثى ولا يقيم لها وزنا، إذ وقفت السيدة الزهراء وسط المسجد، وبحضور حشد كبير من المهاجرين والأنصار، وهو موقف لا يسمح لها بتخير الألفاظ أو التراكيب لتأدية المعاني التي تختلج في صدرها، مع ذلك نجدها قد ارتجلت خطبة عالية المضمون، وألقتها بداهة من دون تحضير سابق، وهي تخاطب العقل والوجدان معا.

الكلمات المفتاحية باللغة العربية (التقديم والتأخير ، الخطبة الفدكية، فاطمة الزهراء ، الدلالة)

Abstract

This study is a humble attempt to uncover the connotations of introduction and delay in the sermon of Lady Zahra, and approaching her desire in using this method that enabled her to freely control the change of the positions of words in the linguistic structures, in order to reach

عن قدرات العرب العالية في بدائع الكلام ولطائفه، فقد وصفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: «وهو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتنُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطّف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سببَ أن راقك ولطّف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان آخر»^(٢).

وإنّ النصوص التي يراد منها التأثير في المتلقي على كثرتها وتفاوتها في القيمة الإبداعية تنقسم على قسمين: الأول: نصوص قيلت وكان الدافع وراءها هو الخروج بقطعة فنية مؤثرة حاول مبدعها أن يلتمس لها كل ما يتوافر في النص الإبداعي من مظاهر الجمال اللفظي والمعنوي. والآخر: نصوص قيلت ولم يكن الدافع وراءها ما سبق، بل كان الدافع الحقيقي وراءها إيصال المعاني وإحداث التأثير في المتلقي، وغالبا ما تقال ارتجالا. وهي نصوص غالبا ما تكون خالية من مظاهر الصنعة و يغلب عليها الطبع. وهو ما توفر في خطبة السيدة الزهراء - عليها السلام - ، لذا فإن الباحث وجد في نص خطبة الزهراء

and conscience together.

Key words: (Presentation and delay , Fadak sermon , Fatima Zahra , Semantic)

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الحمد ثمنا لنعمائه، و معاذا من بلائه، و وسيلة إلى جنانه، و سببا لزيادة إحسانه، و الصلاة على رسوله الأمين على التنزيل، نبي الرحمة و إمام الأمة و سراج الأمة، و على أهل بيته مصابيح الظلم، و عصم الأمم، و لا سيما بضعته الطاهرة فاطمة أم السبطين وسيدة نساء العالمين.

تعد هذه الدراسة محاولة متواضعة للكشف عن دلالات التقديم والتأخير في خطبة السيدة الزهراء - عليها السلام - ، والاقتراب من مراداتها في استعمال هذا الأسلوب الذي يعبر عن مدى تحكمها بحرية في تغيير مواقع الكلمات في التراكيب اللغوية ، للوصول إلى المعاني المطلوبة.

والتقديم والتأخير من الظواهر التي عُني بها القدماء^(١)، و اتخذوها وسيلة لكشف الثراء الدلالي للغة العربية ، وقد عني بها البلاغيون بوجه خاص كونها تشكّل باباً واسعاً لم يؤت به إلا لأغراض فنيّة قوليّة ودلاليّة ، للكشف

من الجاحظ وانتهاءً بعبد القاهر الجرجاني الذي أضاء بعض طريق الباحثين في دراسة نظم القرآن وحدد مجال الإعجاز البياني في بناء الجمل وطرائق نظمها من خلال أنظمة العلاقات التي تنتظم عناصر التركيب الواحد، أي طريقه في إقامة العلاقات بين عناصر الجملة بالاستغلال الأمثل لمعاني النحو^(٤). وقد وجد عبد القاهر الإمكانيات النحوية قائمة في تركيب الجملة وبنيتها الداخلية، فقادته ذلك إلى فكرة النظم، وهي فكرة قوية الصلة بالإمكانيات النحوية، من حيث أنّ هذه الإمكانيات ذات فعالية مهمة في أنساق اللغة وأساليبها، حتى يمكن القول إنّها العنصر الأساس في تشكيل الأداء شعراً أو نثراً^(٥). والسر في ذلك هو طريقة تأليف الألفاظ وترتيبها داخل التركيب. قال عبد القاهر: «وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تُعمل منها الصور والنقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تهدي في الأصباغ التي عمل منها الصورة و النقش في ثوبه الذي نسج، إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفُس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها، إلى ما لم يتهدّ إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب،

مادة تستحق أن تدرس وتحلل من الباحثين. وإذا كانت هذه الدراسة على عجالتها قد قصرت في إعطاء هذا النص ما يستحقه، فحسبها أن تكون دعوة للباحثين في أن يتخذوا من هذا النص مادة للدراسة والبحث، ليصلوا إلى ما لم يصل إليه الباحث من كنوز هذا النص القيّم.

أولاً: التمهيد

إنّ النصوص الأدبية يمكن أن تصاغ من مادة لغوية متقاربة ومع ذلك فهي تنتهي إلى أن يكون بعضها بليغاً قد يصل إلى حد الإعجاز، وتظل الأخرى في مراتب أدنى منه، حتى يُظن أنها ليست من مادة واحدة^(٦). فمثلاً إنّ تركيب الجملة في القرآن الكريم لم يكن غريباً عن التراكيب الجمالية في كلام العرب وإنّ ألفاظه هي ذاتها الألفاظ التي بني عليها الكلام العربي في الشعر والخطابة، فما الذي ميّز أسلوب القرآن من الأساليب العربية الأخرى، وجعله بهذه الدرجة العالية من البلاغة، حتى عُدّ معجزة النبي محمد - صل الله عليه وآله- التي تحدى بها العرب؟

وقد شغل هذا التساؤل بال كثير من اللغويين الذين عرضوا لقضية إعجاز القرآن الكريم بدءاً

وصورته اغرب، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيها معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم»^(٦). لذا يمثل الاستعمال الأدبي الإمكانات الفردية المتنوعة في الأداء، القائمة على المقاصد الواعية التي تصنع من التعبير المألوف إطارا غير مألوف، تحاول فيه أن تخترق حدود الأنماط الجاهزة، وتنتهك القوالب الرسمية^(٧)؛ لأن الوظيفة التأثيرية تحصل في النص نتيجة قدرة المتكلم او الكاتب على صياغة كلامه بطريقة تحدث خرقا في الأطر اللغوية المتعارفة، من خلال الإنحراف عن الاستعمال الاعتيادي إلى الاستعمالات التي تتميز بالجدة والطرافة، والتي تجعل المتلقي مشدودا إليها بالحد الذي يتجاوز التأثير حدود الزمان والمكان. فتصبح هذه السمة قوة جاذبة تجعل المتلقي يعيش حالة من النشوة المعنوية، تستمد طاقتها من قدرة المتكلم على التصرف في صياغة التراكيب، وعرضها بصورة تضي عليها قيمة جمالية في بيان المعنى.

ويتمثل ذلك في «مظاهر أسلوبية محددة من قبيل التقديم والتأخير، ... بما هو تشغيل للإمكانات الدلالية

للتراكيب من خلال إدراك الفروق الدلالية المصاحبة للبدائل التركيبية المختلفة»^(٨)، إذ تخضع الجملة العربية لمِيعار الرتبة بالدرجة الأساس، فتدّل على المعنى بوضع مخصوص وترتيب مخصوص، وهي ما تُعرف في علم اللغة الحديث بالبنية التكوينية، أو جُملة النّواة^(٩)، أو المُكوّن التركيبي الأساس^(١٠)، وهي من أهمّ مبادئ نظرية تشومسكي اللغوية، فإذا بُدّل ذلك الوّضع أو الترتيب تغيّرت الدلالة، فالرتبة هي القرينة اللفظية التي تحدّد معنى الكلمة^(١١)، لذا يتقدّم الفعل على الفاعل، والمبتدأ على الخبر.

وإن الجملة لا تنماز بحتمية في ترتيب أجزائها، إذ تتمتع الكلمة بقدرٍ وافرٍ من حرية الحركة داخل إطار الجملة، والتقديم والتأخير لونها من ألوان حريتها، وخصيصة من خصائصها^(١٢).

إذ إنّهُ تصرف في رتبة الكلمة من حيث المواقع، فتحرك الكلمة من مكانها لتحل محلها كلمة أخرى، لتؤدّي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤدّيه لو أنها بقيت في مكانها^(١٣).

إنّ تحولات الصياغة ذات أثر مهم في تغيير المعنى او إكسابه دلالات جديدة، وإحياءات جديدة، فأصل الكلام أن

بالعلامات الإعرابية وسيلة للكشف عن الرتب الأصلية للكلمات⁽¹⁷⁾. وأما إذا غابت العلامة الإعرابية فحينئذ تقوم الرتبة بدور تمييز الوظيفة النحوية للفظة، فتكون هي القرينة اللفظية التي تحدّد معنى الكلمة⁽¹⁸⁾. وقد عُني القدماء بهذه الظاهرة واتخذوها وسيلة لكشف الثراء الدلالي للغة العربية عامّة، ولغة القرآن خاصة، وعُني بها بوجه خاص البلاغيون وتتبعوا دلالات الترتيب، لحساب المعنى ومقتضى حال العبارة، فتناولوه في أبواب البلاغة بشيء من التفصيل، قال الجرجاني: «ولا تزال ترى شعرا يرووك مسمعه و يلفظُ لديك موقعه ثم تنظر فتجد أنّ سبب أن راقك و لطف عندك أن قدّم فيه شيء و حول اللفظ عن مكان إلى مكان»⁽¹⁹⁾ وقد جعله بعض اللغويين من أساليب القصر في العربية، يقول فيه ابن جني «إنّ أصل وضع المفعول أن يكون فضلةً وبعد الفاعل، ك (ضربَ زيدٌ عمرًا)، فإذا عَناهم ذكر المفعول قدّموه على الفاعل فقالوا: (ضربَ عمرًا زيدٌ)، فإن ازدادت عنايتهم به قدّموه على الفعل الناصبة فقالوا: (عمرًا ضربَ زيدٌ)...»⁽²⁰⁾.

يكون المقدم مقدما والمؤخر مؤخرًا، إلا أنّ دواعي فكرية ونفسية ومعنوية كثيرة تطرأ على منتج النص فتجعله يقدم مؤخرًا، أو يؤخر مقدما، وليس ذلك من قبيل الترف أو تلوين الكلام وتزيينه، أو تعدد صيغته⁽¹⁴⁾، بل يشير ذلك إلى قصد وهدف اتخذته منتج النص ليفهم المتلقي فحوى الرسالة التي يريد إبلاغها له. ولعل السبب الذي أتاح للجملّة تلك الحرية في تغيير مواقع كلماتها أنّ الكلمة تحمل معها علامة تساعد على معرفة وظيفتها النحوية في الجملة، وقد أشار المبرد إلى ذلك بقوله: « وإمّا يصلح التقديم والتأخير إذا كان الكلام موضحاً عن المعنى نحو: ضربَ زيداً عمرٌ، لأنك تعلم بالإعراب الفاعل والمفعول»⁽¹⁵⁾، وأكد الدكتور مهدي المخزومي هذه الحقيقة بقوله: « للعربية سمةٌ تميزها من اللغات الأخرى تلك هي أن الكلمة في أثناء الجملة تحمل معها ما يدل على صفتها الإعرابية ، وما دام للكلمة مثل هذه السمة فلها من الحرية في التنقل في أثناء الجملة»⁽¹⁶⁾. وذلك عندما يطرأ على الجملة مقتضيات معنوية مختلفة تدعو إلى تغيير ترتيبها مع الاحتفاظ

جملة النظم يجب أن تكون دالة و مفيدة؛ لأن الناظم يراعي فيها ترتيب أبواب النحو لغرض إبانة المعنى ، و تثبيت العبارة في ذهن السامع .

و قد اتخذ البلاغيون من الرتبة النحوية في الجملة أصلاً و معياراً يُقاس عليه العُدول لتأدية أغراض دلالية معينة ، ما كانت تؤدّيها الكلمة لو أنّها بقيت في مكانها الأصلي، و من تلك الأغراض : التخصيص و التعظيم و التشريف و الكثرة و العناية و غير ذلك و التي تحقّقت بهذا الأسلوب .

وسيحاول الباحث ان يتحرى مواطن التقديم و التأخير في خطبة الزهراء -عليها السلام- و يقف على الأغراض و الغايات الدلالية التي من اجلها قدمت بعض الكلمات على بعض في هذا النص .

ثانياً: الخطبة

روى عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط باسناده عن آبائه أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكا و بلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها و اشتملت بجلبابها و أقبلت في لمّة من حفدتها و نساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله- ص - حتى دخلت على أبي بكر وهو في

ويؤكد البلاغيون على ظاهرة التقديم في القرآن الكريم على أنها واسعة التصرف ، جمّة المحاسن و كثيرة الفوائد ، و يحتملون النحويين أوجه التغافل عنه، و إهمال البحث في مضامينه قال الجرجاني: « قد صغُر أمر التقديم و التأخير في نفوسهم و هونوا الخطب فيه حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه و النظر فيه ضرباً من التكلف »⁽²¹⁾ ، و يقلل البلاغيون من شأن التقسيم الذي أخذ به النحاة ، و يزعمون عدم كفاية حكم الجواز و الوجوب في فضيلة المعنى، و ليس هذا فحسب ، بل يذهبون بأرائهم إلى تخطئة أحكام النحويين لدى تعييدهم ظاهرة التقديم، حين قسموه على قسمين: وهما تقديم اللفظ على نية التأخير، كتقديم الخبر على مبتدئه، أو تقديم المفعول على فاعله، و تقديم لا على نيّة التأخير، و غيرها من أبواب التقديم و التأخير التي أقرها النحويون، قال الجرجاني : « و اعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء و تأخيره قسمين فيُجعل مفيدا في بعض الكلام و غير مفيد في بعض و أن يعلل تارة بالعناية و أخرى بأنه توسعة على الشاعر و الكاتب »⁽²²⁾ ، و حجتهم أن

تنبيهها على طاعته، وإظهارا لقدرته،
و تعبّدا لبرّيته، وإعزازا لدعوته، ثم
جعل الثواب على طاعته، ووضع
العقاب على معصيته، زيادة لعباده
عن نعمته وحياشة منه إلى جنّته،
وأشهد أنّ أبي محمّدا - صلى الله
عليه وآله - عبده ورسوله، اختاره و
انتجبه قبل أن أرسله، وسمّاه قبل
أن اجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه،
إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر
الأهوايل مصونة، وبنهاية العدم
مقرونة، علما من الله تعالى بما يمل
الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، و
معرفة بمواقع المقدور، ابتعثه الله
تعالى إماما لأمره، وعزيمة على
إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقادير حتمه،
فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكّفا على
نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله
مع عرفانها، فأثار الله بمحمّد صليّ
الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن
القلوب بهمها، وجلي عن الأبصار
غممها، وقام في الناس بالهداية، و
أنقذهم من الغواية، وبصرهم من
العماية، وهداهم إلى الدين القويم،
و دعاهم إلى الطريق المستقيم، ثم
قبضه الله إليه قبض رافة و اختيار،
ورغبة وإيثار فمحمّد صليّ الله
عليه وآله عن تعب هذه الدار في

حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم
فنيطت دونها ملاءة فجلست ثم
أنت أنةً أجهش القوم لها بالبكاء
فأرتج المجلس ثم أمهلت هنيئة
حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت
فورته . افتتحت الكلام بحمد الله
و الثناء عليه والصلاة على رسوله
فعاد القوم في بكائهم فلما أمسكوا
عادت في كلامها فقالت عليها السلام
(: الحمد لله على ما أنعم، و له
الشكر على ما ألهم، و الثناء بما قدّم
من عموم نعم ابتداها، و سبوغ آلاء
أسداها، و تمام منن والاهاء، جمّ عن
الإحصاء عددها، و نأى عن الجزاء
أمدها، و تفاوت عن الإدراك أبدها، و
ندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، و
استحمد إلى الخلائق بإجزالها، و ثنى
بالندب إلى أمثالها، و أشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له، كلمة جعل
الإخلاص تأويلها، و ضمن القلوب
موصولها، و أنار في التفكير معقولها،
الممتنع من الأبصار رؤيته، و من
الألسن صفته، و من الأوهام كفيّته،
ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها،
و أنشأها بلا احتذاء أمثلة امثلها،
كوّنها بقدرته، و ذرأها بمشيّته، من
غير حاجة منه إلى تكوينها، و لا فائدة
له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته، و

راحة، قد حَفَّ بالملائكة الأبرار، و رضوان الربِّ الغَفَّار، و مجاورة الملك الجبَّار، صَلَّى اللهُ على أبي نبيِّه و أمينه على الوحي وصفِيه و خيرته من الخلق و رضِيه، و السلام عليه و رحمة الله و بركاته. ثم التفتت إلى أهل المجلس، و قالت أنتم عباد الله نصب أمره و نهيه، و حملة دينه و وحيه، و أمناء الله على أنفسكم، و بلغاؤه إلى الأمم، و زعمتم حقًا لكم. لله فيكم عهد قدّمه إليكم، و بقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، و القرآن الصادق، و النور الساطع، و الضياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدِّ إلى النجاة أسماعه، به تنال حجج الله المنوّرة، و عزائمه المفسّرة، و محارمه المحدّرة، و بيّناته الجالية، و براهينه الكافية، و فضائله المندوبة، و رخصه الموهوبة، و شرائعه المكتوبة، فجعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، و الصلاة تنزيها لكم عن الكبر، و الزكاة تزكية للنفس، و نماء في الرزق، و الصيام تثبيتا للإخلاص، و الحج تشبيدا للدين، و العدل تنسيقا للقلوب، و طاعتنا نظاما للملّة، و إمامتنا أمانا

من الفرقة، و الجهاد عزًّا للإسلام، و الصبر معونة على استيجاب الأجر، و الأمر بالمعروف مصلحة للعامة، و برّ الوالدين وقاية من السخط، و صلة الأرحام منماة للعدد، و القصاص حقنا للدماء، و الوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة، و توفية المكاييل و الموازين تغييرا للبخس، و النهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، و اجتناب القذف حجابا عن اللعنة، و ترك السرقة إيجابا للعتّة، و حرّم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية، فاتّقوا اللهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء. ثم قالت أيها الناس اعلّموا أيّ فاطمة و أبي محمّد صَلَّى اللهُ عليه و آله، أقول عودا و بدءا، و لا أقول ما أقول غلطا، و لا أفعل ما أفعل شططا لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ، فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، و أخا ابن عمي دون رجالكم، و لنعم المعزي إليه صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم، فبلغ الرسالة، صادعا بالندارة، مائلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم،

فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر،
و تتوگفون الأخبار، و تنكصون عند
النزال، و تفرّون عند القتال، فلما
اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، و مأوى
أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق،
و سمل جلباب الدين، و نطق كاظم
الغاوين، و نبغ حامل الأقلين، و هدر
فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، و
أطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا
بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، و
للغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم
فوجدكم خفافا، و أحمشكم فألفاكم
غضابا، فوسمتم غير أبلكم، و أوردتم
غير شربكم، هذا و العهد قريب، و
الكلم رحيب، و الجرح لما يندمل، و
الرسول لما يقبر، ابتدارا زعتم خوف
الفتنة ألا في الفتنة سقطوا و إن جهنم
لمحيطة بالكافرين، فهيّات منكم و
كيف بكم و أتى تؤفكون و كتاب الله
بين أظهركم، أموره ظاهرة، و أحكامه
زاهرة، و أعلامه باهرة، و زواجه
لائحة، و أوامره واضحة، قد خلفتموه
وراء ظهوركم، أ رغبة عنه تريدون...
أم بغيره تحكمون، بئس لظالمين
بدلاً، و من يبتغ غير الإسلام ديناً
فلن يقبل منه و هو في الآخرة من
الخاسرين، ثم لم تلبثوا إلا ريث أن
تسكن نفرتها، و يسلس قيادها،

أخذنا بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربّه
بالحكمة و الموعظة الحسنة، يكسر
الأصنام، و ينكت الهام، حتى انهزم
الجمع و ولّوا الدبر، حتى تفرّى
الليل عن صبحه، و أسفر الحق
عن محضه، و نطق زعيم الدين، و
خرست شقاشق الشياطين، و طاح
وشيظ النفاق، و انحلت عقد الكفر
و الشقاق، و فهتم بكلمة الإخلاص في
نفر من البيض الخماص، و كُنْتُمْ عَلَى
شفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مذقة الشارب،
و نهزة الطامع، و قبسة العجلان، و
موطئ الأقدام، تشربون الطرق، و
تقتاتون الورق، أدلة خاسئين، تخافون
أن يتخطفكم الناس من حولكم،
فأنذكم الله تبارك و تعالى بمحمد
صلى الله عليه و آله بعد اللتيا و
التي، و بعد أن مني بهم الرجال، و
ذوبان العرب، و مرده أهل الكتاب
كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها
الله، أو نجم قرن للشيطان، و فغرت
فاغرة من المشركين، قذف أخاه في
لهواتها، فلا ينكفى حتى يطأ صماخها
بأخمصه، و يخمد لهبها بسيفه،
مكدودا في ذات الله، و مجتهدا في أمر
الله، قريبا من رسول الله، سيد أولياء
الله، مشمراً ناصحا، مجداً كادحا، و
أنتم في رفاهيّة من العيش، وادعون

ثم أخذتم توروبن وقدتها، و تهيجون
جمرتها، و تستجيبون لهتاف الشيطان
الغوي، و إطفاء أنوار الدين الجلي،
و إهماد سنن النبي الصفي، تسرون
حصوا في ارتغاء، و تمشون لأهله
و ولده في الخمر و الضراء، و نصبر
منكم على مثل حزّ المدى، و وخز
السنان في الحشا، و أنتم تزعمون أن
لا إرث لنا أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ
وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
يُوقِفُونَ أَ فِلا تعلمون بلى، تجلى
لكم كالشمس الضاحية أيّ ابنته أيها
المسلمون، أ أغلب على إرثيه. يا ابن
أبي قحافة، أ في كتاب الله أن ترث
أباك و لا أرث أبي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
فَرِيًّا أ فعلى عمد تركتم كتاب الله و
نبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول وَ وِرثَ
سُلَيْمَانَ دَاوُدَ و قال فيما اقتصّ من
خبر يحيى بن زكريا - ع - إذ قال رَبِّ
فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثْ
مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، و قال وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، و
قال يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ
مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ، و قال إِنْ تَرَكَ خَيْرًا
الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ
حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ، و زعمتم ألا حظوة
لي و لا أرث من أبي و لا رحم بيننا، أ
فخصكم الله بآية أخرج منها أبي -

صلى الله عليه وآله - أم هل تقولون
أهل ملتين لا يتوارثان، أ و لست أنا
و أبي من أهل ملّة واحدة أم أنتم
أعلم بخصوص القرآن و عمومه من
أبي و ابن عمّي، فدونها مخطومة
مرحولة تلقاك يوم حشرک، فنعم
الحكم اللّٰه، و الزعيم محمّد، و
الموعد القيامة، و عند الساعة ما
تخسرون، و لا ينفعكم إذ تندمون، و
لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ
عَذَابٌ مُّقِيمٌ... ثم رمت بطرفها نحو
الأنصار فقالت: يا معاشر الفتية
و أعضاء الملّة، و أنصار الإسلام، ما
هذه الغميمة في حقّي، و السنّة عن
ظلامتي، أ ما كان رسول الله صلى الله
عليه و آله أي يقول المرء يحفظ في
ولده، سرعان ما أحدثتم، و عجلان ذا
إهالة، و لكم طاقة بما أحاول، و قوّة
على ما أطلب و أزاول، أ تقولون مات
محمّد صلى الله عليه و آله، فخطب
جليل استوسع وهنه، و استنهر
فتقه، و انفتق رتقه، و اظلمت الأرض
لغيبته، و كسفت النجوم لمصيبته، و
أكدت الآمال، و خشعت الجبال، و
أضيع الحريم، و أزيلت الحرمة عند
مماته، فتلك و الله النازلة الكبرى،
و المصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، و

الإعلان، و نكصتم بعد الإقدام، و أشركتم بعد الإيمان أ لا تُفَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا إِيمَانَهُمْ وَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَ هُمْ بِدُؤُكُمْ أَوْلَ مَرَّةً أَ تَخْشَوْنَهُمْ قَالَ لَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أ لا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، و أبعدم من هو أحق بالبسط و القبض، و خلوتم بالدعة، و نجوتم من الضيق بالسعة، فمجمتم ما وعيتم، و دسعتم الذي تسوَّغتم، فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ أ لا و قد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، و الغدرة التي استشعرتها قلوبكم، و لكتها فيضة النفس، و نفثة الغيظ، و خور القنا، و بثة الصدر، و تقدمة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها دبيرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله و شنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ فبعين الله ما تفعلون وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ. و أنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد ف اعْمَلُوا... إنا عامِلُونَ وَ انْتِظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ... (٢٣).

ثالثاً: الدراسة

وقفت الزهراء لا يخالجهما شك فيما

لا باثقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتمكم في ممساكم و مصبحكم، هتافاً و صراخاً، و تلاوة و ألقاناً، و لقبه ما حلّ بأنبياء الله و رسله، حكم فصل و قضاء حتم و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ. إليها بني قيلة أ أهضم تراث أبي و أنتم بمراي مني و مسمع، و مبتد و مجمع، تلبسكم الدعوة، و تشملكم الخبرة، و أنتم ذا العدد و العدة، و الأداة و القوة، و عندكم السلاح و الجئة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، و تأتيكم الصرخة فلا تغيثون، و أنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير و الصلاح، و النجبة التي انتجت، و الخيرة التي اختيرت، قاتلتم العرب، و تحمّلتكم الكدّ و التعب، و ناطحتم الأمم، و كافحتم بهم، فلا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، و درّ حلب الأيام، و خضعت ثغرة الشرك، و سكنت فورة الإفك، و خمدت نيران الكفر، و هدأت دعوة الهرج، و استوسق نظام الدين، فأني حرتم بعد البيان، و أسررتم بعد

تقدم عليه ولا يساورها هاجس من هواجس القلق والارتباك، وكانت تقف بين بابين لا يتسعان لتردد طويل ودرس عريض فلا بد لها من اختيار احدهما وقد اختارت الطريق المتعب من الطريقتين الذي يشق سلوكه على المرأة بطبعها الضعيف ، لما يكتنفه من شدائد ومصاعب. وهذه الخطوة تتطلب جرأة أدبية وملكة بيانية مؤثرة وقدرة على صب معاني الثورة كلها من كلمات وبراعة فنية في تصوير النعمة ونقد الأوضاع القائمة تصويرا ونقدا يجعلان في الألفاظ معنى من حياة وحظاً من خلود، لتكون الحروف جنود الثورة الخيرة وسندها الخالد في تاريخ العقيدة، ولكنه الإيمان والاستبسال في سبيل الحق الذي يبعث في النفوس الضعيفة نقيضها ويفجر في الطبائع المخدولة قوة لا تتعرض لضعف ولا تردد ، ولذا كان اختيار الثائرة لهذا الطريق مما يوافق طبعها ويلتئم مع شخصيتها المركزة على الانتصار للحق والاندفاع في سبيلة... كأنها استعارت في وقتها هذه قلب رجلها العظيم لتواجه به ظروفها القاسية وما حاكت لها يد القدر من مأساة مروعة تهد الجبل وتزلزل الصعب الشامخ. وقفت

الزهراء وقد أدت دور الجندي المدافع وهي شاحبة اللون عابسة الوجه مفجوعة القلب كاسفة البال منهدة العمد ضعيفة الجانب مائعة الجسم .. وقد خسرت أبوة هي أزهى الأبوات في تاريخ الإنسان وأفيضها حنانا وأوفرها بركة وهذه كارثة من شأنها ان تذيب المصاب بها مرارة الموت ... ثم لم تقف الحوادث المرة عند هذا الحد بل عرضت الزهراء لخطب آخر قد لا يقل تأثيرا في نفسها الطهور وإيقادا لحزنها وإذكاءً لأساها عن الفاجعة الأولى كثيرا، وهو خسارة المجد الذي سجلته السماء لبيت النبوة على طول التاريخ وهو سيادة الأمة وزعامتها الكبرى .. فبعثتها نفسها المطوقة بأفاق من الحزن والأسف إلى المعركة ومباشرة الثورة والاستمرار عليها . والحقيقة التي لاشك فيها إن أحدا ممن يوافقها على مبدأها ونهضتها لم يكن ليتمكن أن يقف موقفها ويستبسل استبسالها في الجهاد إلا أن يكون أكلة بردة وطعمة رخيصة للسلطات الحاكمة التي كانت قد بلغت يوم ذاك أوج الضغط والاستعانة بكل الوسائل لتدعيم أساس دولتهم وتثبيت بنيانها^(٢٤).



وسط هذه الظروف انطلقت الزهراء في خطبتها صادحة بالحق غير مبالية بآلامها ولا بغلظة أعدائها، وقسوتهم، فراحت تخطبهم وهي تصب المعاني في قوالب بلاغية تلقي بسحرها على السامعين وتجعلهم يذعنون لبيانها الذي ينساب كما ينساب الماء العذب تطيب له الأسماع وتخشع له القلوب فكأنها تفرغ عن لسان أبيها ، ولا عجب وهي التي تخرجت في مدرسة النبوة وتربت في بيت الوحي. هذه المقدمة من المهم الإحاطة بها للتعرف على الظروف الموضوعية التي تحيط بالنص الذي سنتناوله بالتحليل والدراسة لمدخلية ذلك في فهم دلالات النص وهذا ما يطلق عليه (سياق النص) إذ يرى الدارسون المعاصرون أنّ دلالات الألفاظ تظل غامضة قابلة للاحتتمالات، ولا تظهر دلالاتها إلا من خلال وضعها في سياق معين، فالسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها فإن «أيّ دالّ في لغةٍ ما لابدّ أن تتعدّد مدلولاته من سياق إلى آخر»^(٣٥)، لذا فإن دراسة معاني الكلمات ودلالاتها تتطلب تحليلاً للسياقات التي ترد فيها هذه الكلمات.

تحليل النصوص

قولها (ع): (الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء أسداها وقام ممن أولاهها)

تفتتح السيدة الزهراء -عليها السلام- خطبتها بحمد الله تعالى وتذكر العلة من وراء ذلك الحمد، وهي توالي نعمه تعالى على عباده، ثم تردف ذلك الحمد بذكر الشكر له تعالى على ما ألهمه لعباده من معارف وأفكار تنير لهم طريق حياتهم .

لكننا نلاحظ في الجملة الثانية من هذه العبارة تقدّم الخبر وهو شبه الجملة (له) على المبتدأ (الشكر) فيا ترى لماذا هذا التقديم في هذا الموضوع؟ ولماذا لم نجد مثله في الجملة الأولى حيث بقي المبتدأ في مكانه ولم يتقدم عليه الخبر؟

عندما نتمعن في الجملتين نجد أن الزهراء - عليها السلام- إنما قدمت المبتدأ (الحمد) في الجملة الأولى وأخرت الخبر (لله)، لأنّ الحمد ليس مختصاً بالله سبحانه دون غيره من المنعمين، فكل منعم يجب على الإنسان شكره وحمده سواء أكان خالقاً أم مخلوقاً. ولعلنا نجد في كلمات المعصومين من أهل البيت الأطهار

بعض ما يشير إلى هذا الأمر، كما في الحديث الشريف (من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق)^(٣٦). ولكن بعض النعم لا يقدر عليها ولا يهبها إلى الإنسان إلا الله سبحانه، فهي مختصة به سبحانه كنعمة الإلهام، فهو سبحانه يلهم عباده المعارف والأفكار التي تنير لهم الطريق وتفتح لهم الآفاق. فمثل هذه النعمة لا يستطيع غيره سبحانه أن يهبها ويعطيها للإنسان. لذا كان في تقديم الخبر (له) على المبتدأ (الشكر) دلالة واضحة على هذا الأمر. والكلام نفسه يجري في الجملة التالية (والثناء بما قدم) أي: وله الثناء بما قدم. فإن نعم الله سبحانه على الإنسان كثيرة، منها ما يقدم في هذه الدنيا وهو ما أوضحته العبارة اللاحقة (من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء أسداها وقام ممن أولاهها) ومن النعم ما يؤجل إلى الحياة الأخرى وكل هذه النعم مختصة به سبحانه، فهو وحده يستحق الثناء عليها دون غيره. وقولها - عليها السلام- تصف نعم الله سبحانه: (جم عن الإحصاء عددها ونأى عن الجزاء أمدها وتفاوت عن الإدراك أبدها) الجم هو الكثير وجم الماء بمعنى

كث^(٣٧). فقولها - عليها السلام - (جم عن الإحصاء عددها) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)) إبراهيم/٣٤، فإن نعم الله تعالى لكثرتها يعجز الإنسان عن إحصائها. ولكن السؤال هو: لماذا قُدم الجار والمجرور وكان بالإمكان تأخيرها؟ نقول: إن في تقديم شبه الجملة (عن الإحصاء) تأكيداً لهذه الحقيقة وترسيخاً لها في النفوس وهي كون الإنسان عاجزاً عن إحصاء نعم الله مهما بلغ من العلم والمعرفة ومهما تطورت وسائله وآليات الإحصاء لديه. أما الجملة الثانية (ونأى عن الجزاء أمدها) فإن فيها دلالة على أن الإنسان لا يستطيع أن يؤدي شكر تلك النعم، فهو عاجز عن إدراك غاية تلك النعم فكيف له بتحصيل شكرها؟! لذا نجد الإمام زين العابدين - عليه السلام - يقول في دعائه: (فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر) ^(٣٨)، وما تقديم شبه الجملة (عن الجزاء) إلا للتأكيد على هذه الحقيقة وإبرازها. و قولها - عليها السلام- : (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن



القلوب موصولها، وأنار في التفكير
(معقولها)

ففي قولها - عليها السلام- (جعل الإخلاص تأويلها) قدمت المفعول به الثاني لتشعر بأنه لا تأويل لكلمة التوحيد إلا الإخلاص، فلو أخرت المفعول الثاني وقالت مثلاً: «جعل تأويلها الإخلاص» لأمكن أن يقال إن لها تأويلاً آخر غير الإخلاص، ولكن لما تقدم المفعول الثاني لم يكن لكلمة (لا اله إلا الله) تأويلاً إلا الإخلاص في العبودية والطاعة له سبحانه دون غيره من الآلهة المصطنعة الزائفة.

وأما قولها ع (وأنار في التفكير معقولها) فان تقديم شبه الجملة (في التفكير) فيه إشارة إلى أن القلوب التي أودعت الفطرة الإلهية وعقلتها قد أنيرت بنور التفكير بعظمة الله وجميل صنعه ، وهو ما يقود الإنسان إلى مزيد إيمان وخوفٍ من عقاب الله وعذابه ورجاءٍ لوفير ثوابه جزيل إنعامه.

قولها - عليها السلام - في وصف الله سبحانه: (المتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفتة، ومن الأوهام كفيته)

نلاحظ أنها- عليها السلام - في هذه العبارة قدمت شبه الجملة (من الأبصار) على معمول الوصف وهو

كلمة (رؤيته) في الجملة الأولى ، وهو عينه ما حصل في الجملتين اللاحقتين.

فما هي غاية هذا التقديم ؟ عند التدقيق في العبارة نجد أن التقديم كان لغاية دلالية، وليس اعتباطاً كما قد يظن بعضهم. ففي الجملة الأولى (المتنع من الأبصار رؤيته) إنما قدمت شبه الجملة من أجل بيان حقيقة هامة جداً وهي إن امتناع رؤيته سبحانه وتعالى مختصة بالرؤية البصرية دون الرؤية القلبية، فلا يمكن للعيون أن تراه سبحانه؛ لأنه ليس من جنس المبصرات ، بل تراه القلوب بحقائق إيمانها. فعندما ينظر الإنسان إلى عظيم صنعه سبحانه وما أبدعته يد القدرة الإلهية من مخلوقات مختلفة غاية في الجمال والروعة والإحكام، عندئذ يوقن أن هذه المخلوقات لم تخرج إلى صفحة الوجود صدفة، وأن هناك مبدعاً حكيماً عليماً كان وراء خلقها. إذاً تقديم شبه الجملة (من الأبصار) إنما كان لأجل بيان هذه الحقيقة، ولو لم تتقدم شبه الجملة ، فقليل مثلاً (المتنع رؤيته من الأبصار) لأمكن أن يقال إن رؤيته كما تمتنع على الأبصار كذلك تمتنع على القلوب وإنما ذكرت الأبصار من باب المثال،

وهو خلاف المراد .
وكذا الحال في الجملة الثانية (ومن
الألسن صفته) أي : والممتنع من
الألسن صفته. فان تقديم شبه
الجملة (من الألسن) فيه إشارة إلى
عجز الإنسان عن الإتيان بوصف تام
يليق بالذات المقدسة ، فأئى للإنسان
الذي كان النقص صفته أن يصف
الكامل المطلق.

وأما في الجملة الأخيرة (ومن الأوهام
كيفيته) أي والممتنع من الأوهام
كيفيته، فان تقديم شبه الجملة (من
الأوهام) قد أريد به بيان حقيقة
هامية مفادها أن الإنسان عاجز عن
أن يبين كيفية للحق سبحانه، فكل
ما توهمه الإنسان في ذهنه عن الله
سبحانه ، فهو مخلوق للإنسان حادث
في ذهنه.

قولها -عليها السلام- : (ابتعثه الله
إتماماً لأمره فرأى الأمم فرقاً
في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدةً
لأوثانها، منكراً لله مع عرفانها،
فأنار الله بأبي محمد ص ظلمها
وكشف عن القلوب بهمها، وجلى
عن الأبصار غممها).

بعد ان كان الناس يعيشون في ظلام
الجهل وعبودية الهوى وما نتج
عنهما من تخلف في كل الميادين، اذ

كانوا مشتتين كل فرقة منهم تدين
بدين فمنهم من يعبد الأصنام ومنهم
من يعبد النار مع أنهم جميعاً
يعلمون بأنّ الذي خلقهم هو الله
تعالى. في هذه الظروف بعث النبي
محمد - صلى الله عليه وآله- فأناز
للناس طريقهم واستنقذهم من براثن
الجهل والجهالات وكشف عنهم ما
استغلقت عليهم من مبهمات الأمور
وأزال كل شك وريب عن قلوبهم و
جلى عن الأبصار ما التبس عليها .
وعند النظر إلى قولها - عليها السلام -
(فأناز الله باي محمد ظلمها) نجد
أنّ تقديم شبه الجملة (باي محمد)
كان مقصوداً، وغايته بيان خصوصية
الرسول وفضله في استنقاذ الناس
من العمى والجهل. وبهذا التقديم
قطعت الطريق أمام كل من يدعي
غير ذلك.

أما قولها - عليها السلام - (وكشف
عن القلوب بهمها، و جلى عن
الأبصار غممها) فإنّ تقديم شبه
الجملة (عن القلوب)، (عن الأبصار)
لم يكن اعتباطاً، بل كان لغاية أيضاً
، فإنّه كان يمكن أن تقول -عليها
السلام- (كشف البهمة عن القلوب و
جلى الغمة عن الابصار) ، ولكنها لو
فعلت ذلك لذهبت الغاية الأساسية



التي من أجلها كان التقديم . وقد يقال إن الغاية هي رعاية السجعات والاهتمام بجمال العبارة وحسنها فقط . فنقول : مع إننا لا نريد أن نقلل من شأن الاهتمام بالعبارة وحسنها بخاصة وان الزهراء - عليها السلام - نشأت وتربت في بيئة وصف أهلها بأنهم أرباب الفصاحة والبيان، مع هذا فإن الغاية الرئيسة لتقديم الجار والمجرور في الجملتين هي التأكيد على حقيقة مهمة وهي إن الانحراف الذي يصيب الإنسان إنما يكون نتيجة أمرين هما: الجهل وقلة المعرفة التي تصيب القلب، وعدم قدرة الإنسان على تمييز الأمور بسبب ما يلتبس على بصره منها . ولا أخال أن المقصود في قولها -عليها السلام- (عن الأبصار) هو العيون، بل المقصود به هنا هو البصائر، إذ إن البصيرة هي النور الذي يودعه الله سبحانه في قلب المؤمن ليميز به بين الحق والباطل، فمن كانت لديه بصيرة فإنه يستطيع عن يهتدي إلى حقائق الأمور أما الإنسان الذي ارتكب المعاصي وقارف الموبقات فإن تلك الذنوب ستغلف قلبه وتحجبه عن رؤية الأمور على حقائقها فلا يكاد يفقه شيئا .

قولها -عليها السلام- : (لله فيكم عهد قدمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق).

في الجملة الأولى من هذه العبارة نجد أن الخبر (لله) قد تقدم على المبتدأ (عهد) وكذا نجد أن الجار والمجرور (فيكم) الذي هو متعلق الخبر قد تقدم على المبتدأ أيضا. وكلا التقديمين كان لغاية بلاغية. فتقديم الخبر (لله) إنما كان لأجل بيان أهمية صاحب العهد، وأن هذا العهد ينتمي إليه، فلا بد من الاهتمام به. وأما تقديم شبه الجملة (فيكم) فكان من أجل بيان خصوصية المعهود إليهم ، إذ إن أمة العرب كانوا قد فضلوا على سائر الأمم، إذ عهد الله إليهم بعهدده وهو القران الكريم، وحملهم مسؤولية الحفاظ عليه، والتمسك به، والالتزام بأحكامه، ونشرها إلى سائر الأمم. فهو دستور حياة الأمم وفيه سبيل نجاتها .

ومنه قولها - عليها السلام - في وصف القرآن : (مغبط به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه مؤد إلى النجاة استماعه)

في هذه العبارة نلاحظ تقديم شبه الجملة على معمول الوصف ولا بد

أن يكون هذا التقديم لغاية ، ففي الجملة الأولى (مغبط به أشياعه) كان تقديم شبه الجملة (به) من أجل بيان أن المؤمنين الذين يحملون معارف القران الذين يعملون بأحكامه سيغبطون يوم القيامة على المنزلة الرفيعة التي يحبون بها من الله، وإما كانت هذه الغبطة بسبب علاقتهم بالقران الكريم. وأما قوله (قائد إلى الرضوان أتباعه) ففي تقديم شبه الجملة (إلى الرضوان) دلالة واضحة على أن القرآن لن يقود أتباعه ومن يمثّلون أوامرّه ونواهيّه إلا إلى الجنان ورضا الرحمن. وأما قوله (مؤد إلى النجاة استماعه) فإن تقديم شبه الجملة (إلى النجاة) فيه دلالة واضحة على أن الاستماع الواعي إلى القرآن، و إدراك آياته والتفكر بها يؤدي بالإنسان إلى النجاة من شرور الشيطان ومن الوقوع في شباكه، وبالتالي النجاة من العذاب الذي أعده الله له و لأعوانه وأتباعه. ومنه قولها - عليها السلام - في وصف القرآن أيضا (به تنال حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة ومحارمه المحذرة و بيناته الجالية وبراهينه الكافية وفضائله المندوبة و رخصه الموهوبة وشرائعه المكتوبة)

في الجملة الأولى نلاحظ تقدم شبه الجملة (به) على عاملها وهو الفعل (تنال) وكان ذلك لأجل التأكيد على أن القرآن هو مصدر لكل حجة وبرهان وهو مصدر لكل حكم من الأحكام سواء الواجبات او المحرمات او المندوبات ، فأصول الأحكام مصدرها القرآن الكريم وأما تفصيلاتها فقد تكفلت ببيانها السنة الشريفة وسيرة أهل البيت - عليهم السلام - . وقولها - عليها السلام - : (و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، و للغرة^(٢٩) فيه ملاحظين^(٣٠)). عند مطالعة هذا النص ترتسم في ذهن المتلقي صورة حسية تجسد حالة الغواية التي يمارسها الشيطان مع بني البشر، فقد كمن لهم في مخبئه وتربص لهم لكي يوقعهم في شركه التي نصبها وفخاخه التي هيأها، ودعوته المغرية التي أعدها، و في تقدم معمول الوصف وهو شبه الجملة « لدعوته » على عامله وهو قوله « مستجيبين » إشارة إلى أن الشيطان لم يبذل جهدا في إضلالهم سوى أنه دعاهم فاستجابوا له، وانقادوا لمخططاته، فلم يحتج إلى أدواته الأخرى للنيل منهم والإيقاع

التقديم سيؤدي إلى ذهاب ذلك الرونق والبهاء الذي امتازت به تلك النصوص.

كما إن هذا الخطاب الذي نجد فيه هذا الاختيار الدقيق للمفردات واختيار مواقعها داخل التراكيب يكشف عن ذهنية فذة و قدرة فائقة على التصرف بالتراكيب، وخبرة دقيقة بالمعنى وطرق انتاجه. لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار ظروف انتاج النص. فقد صدر من امرأة في مقتبل العمر، في مجتمع كان يحتقر الأنثى ولا يقيم لها وزنا، إذ وقفت السيدة الزهراء وسط المسجد، وبحضور حشد كبير من المهاجرين والأنصار، وهو موقف لا يسمح لها بتخير الألفاظ أو التراكيب لتأدية المعاني التي تختلج في صدرها، مع ذلك نجدها قد ارتجلت خطبة عالية المضمون، وألقتهابداهة دون تحضير مسبق، وهي تخاطب العقل والوجدان معا. وهذا أمر ليس غريبا ولا مستبعدا، من امرأة نشأت في ربوع البلاغة، في المحيط الذي تسمو فيه الملكات، وتنمو على الفطرة القويمية، فقد تربت في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله الذي دانت له أساليب البيان، وتلقت عنه رسالته بكل ما فيها من إيمان

بهم، إذ كانت الدنيا أكبر همهم. كما إن تقدم معمول الوصف وهو شبه الجملة « للغرة » على عامله وهو قوله « ملاحظين » فيه إشارة إلى أن قلوب هؤلاء القوم قد تعلقت بالدنيا، فأقبلوا عليها، واهتموا بكل ما يوجب الاغترار بها مما يتخذه الشيطان من وسائل خداع كالتسويل والتزيين، والوعود الكاذبة ، فوجدهم مستعدين للانخداع. نسأل الله تعالى أن ينهبنا من نومة الغافلين. والحمد لله أولا وآخرا.

خاتمة البحث

قد اتضح من البحث أن التقديم والتأخير يعد ملمحا أسلوبيا واضحا في خطبة السيدة الزهراء؛ لأنه عدول عن القاعدة العامة، بتحويل الألفاظ عن مواقعها الأصلية لغرض يتطلبه المقام. وإن أكثر ما جاء من التقديم في خطبة السيدة الزهراء هو تقديم شبه الجملة. فهو فضلا عما له من أثر في المعنى كالاختصاص، أو نحوه من الأغراض ، فإن فيه فائدة أخرى وهي رصانة التعبير وجودة النظم وجمال في الإيقاع. إذ إن محاولة تغيير أماكن بعض الكلمات في النصوص التي وردت فيها هذا النوع من

الهوامش

١- ينظر: تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة:
٢٦، والمقتضب: للمبرد: ٣/ ١١٨، ٤/ ١٦٨- ١٧٢ ،
و الأصول في النحو: ابن السراج : ٢ /
٢٢٢-٢٥٥ ، و الخصائص: ابن جني: ٢ / ٣٨٢
- ٣٨٩.

٢- دلائل الإعجاز: ١٠٦.

٣- ينظر: دراسة الأسلوب بين المعاصرة
والتراث : د. احمد درويش: ١٠٢.

٤- ينظر: نظرات معاصرة في القرآن الكريم:
محمد حسين الصغير: ١٧.

٥- ينظر: جدلية الافراد والتركيب: محمد
عبد المطلب : ٢٧٢.

٦- دلائل الإعجاز: ٨٧-٨٨.

٧- جدلية الافراد والتركيب: ١٣٣.

٨- اللفظ والمعنى بين الايدولوجيا والتأسيس
المعرفي: د. طارق النعمان: ٢٦٣.

٩- ينظر: البنى النحوية : نوام جومسكي :
ترجمة د. يوثيل يوسف عزيز ١١٥-١١٦ .

١٠- ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية
وقواعد الجملة العربية (الجملة البسيطة)
ميشال زكريا ١٥ - ١٦ .

١١- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها:
د تمام حسان ١٩١ .

١٢- ينظر: بحوث لغوية: أحمد مطلوب
: ٤٠- ٤١ .

١٣- ينظر: البلاغة و الأسلوبية: د. محمد
عبد المطلب: ٢٠٠.

١٤- ينظر: أسرار التشابه الاسلوبي في القرآن
الكريم: د. شلتاغ عبود: ٨٤.

١٥- المقتضب: ٨٠/٢ ، وينظر: شرح المفصل:

و صدق، كما عاشت في كنف زوج
كان قد وُصِفَ كلامُه بأنه «دون كلام
الخالق فوق كلام المخلوقين».
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله
على محمد وآله الطاهرين.



قائمة المصادر والمراجع

- ابن يعيش : ٧٢ / ١ .
- ١٦- في النحو العربي قواعد وتطبيق ، مهدي المخزومي : ٨٧ .
- ١٧- ينظر: اللغة الشاعرة: ١٩ .
- ١٨- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩١ .
- ١٩- دلائل الإعجاز: ١٤٨ .
- ٢٠- المحتسب : لابن جني: ٦٦٦/١ .
- ٢١- دلائل الإعجاز: ١٤٩ .
- ٢٢- المصدر نفسه: ١٥١ .
- ٢٣- الاحتجاج: للطبرسي: ٢٥٣-٢٥٨ .
- ٢٤- ينظر: فذك في التاريخ: السيد محمد باقر الصدر: ١٤ - ١٨ .
- ٢٥- الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي: ٥٨ .
- ٢٦- ينظر: وسائل الشيعة: الحر العاملي : ٣١٣/١٦ .
- ٢٧- ينظر: لسان العرب: ابن منظور ١٠٥/١٢، مادة (جمم).
- ٢٨- الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين: ٢٤٣ .
- ٢٩- الغرّة: الاغترار والانخداع، غرّه يُغرّه غَرّاً و غُروراً : خدعه و أطعمه بالباطل . ينظر: لسان العرب: ١٢ / ٥، مادة (غرر).
- ٣٠- ملاحظتة الشيء: مراعاته، وهي مُفاعلة من اللَّحْظُ، و هو النظر بشقِّ العين الذي يلي الصدغ. ينظر: المصدر نفسه: ٧ / ٤٥٩، مادة (لحظ).
١. الاحتجاج: أبو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، تحقيق الشيخ ابراهيم البهادلي ، دار الاسوة للطباعة والنشر، ايران ، ١٤٢٥هـ .
٢. أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم: د. شلتاغ عبود، دار الرسول الاكرم، ودار المحجة البيضاء، ط١، لبنان، ٢٠٠٣م.
٣. الأسلوبية والأسلوب: د.عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٣، ١٩٨٢م.
٤. الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٦م.
٥. الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة): ميشال زكريا،
٦. بحوث لغوية: د. أحمد مطلوب ، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١ ، ١٩٨٧م.
٧. البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط١، ١٩٩٤م.
٨. البنى النحوية: نوام جومسكي: ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة مجيد الماشطة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .
٩. تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة ، تحقي السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

والإرشاد - المملكة العربية السعودية، د.ت.
١٩. اللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد ،
منشورات المكتبة العصرية - بيروت ، د. ت
٢٠. اللغة العربية معناها ومبناها : الدكتور
تمام حسان ، مطابع الهيئة المصرية العامة
، القاهرة ١٩٧٣م .
٢١. اللفظ والمعنى بين الايدولوجيا
والتأسيس المعرفي للعلم: طارق النعمان ،
سينا للنشر - القاهرة، ط١، ١٩٩٤.
٢٢. المحتسب في تبين وجوه شواذ
القراءات والإيضاح عنها : أبو الفتح عثمان
ابن جني ، المؤسسة الجامعية للدراسات
والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .
٢٣. المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد
المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة
، وزارة الأوقاف - القاهرة، ١٩٩٤م.
٢٤. نظرات معاصرة في القرآن الكريم:
محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي-
بيروت، ط١، د.ت.
٢٥. وسائل الشيعة: محمد بن الحسن
الحر العاملي، مؤسسة آل البيت - قم،
١٤٠٩ هـ

١٠. جدلية الأفراد والتركيب في النقد
العربي القديم: محمد عبد المطلب ،
الشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان،
ط٢ ، ٢٠٠٤م.
١١. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني ،
تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية،
مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة. د. ت .
١٢. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث:
د. احمد درويش، دار غريب للطباعة
والنشر والتوزيع - القاهرة، ١٩٩٨م.
١٣. دلائل الإعجاز: عبد القاهر
الجرجاني(ت٤٧١هـ) ، حققه وقدم له :
الدكتور ضوان الداية ، والدكتور فايز الداية
، مكتبة سعد الدين ، دمشق ، الطبعة
الثانية ١٩٨٧م .
١٤. شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن
علي ابن يعيش ، عالم الكتب، بيروت، د.
ت.
١٥. الصحيفة السجادية: للإمام زين
العابدين ابي محمد علي بن الحسين بن
علي بن ابي طالب دار المرتضى للطباعة
والنشر، بيروت ، ط١، ٢٠٠٥م.
١٦. فدك في التأريخ: محمد باقر الصدر،
دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان،
١٩٩٠م.
١٧. في النحو العربي قواعد وتطبيق
على المنهج العلمي الحديث: مهدي
المخزومي، ط٣، ١٩٨٥م.
١٨. لسان العرب: ، جمال الدين محمد بن
مكرم بن منظور المصري، من إصدارات
وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة

- House, Baghdad, 1st ed. 1987.
- 9 .Interpretation of the Problematic of the Qur'an: Ibn Qutaybah, Edited by Sayyid Ahmad Saqr, Dar Al-Turath Library - Cairo, 2nd ed., 1973.
- 10 .The Dialectic of Singularity and Syntax in Ancient Arabic Criticism: Muhammad Abdul Muttalib, Egyptian International Publishing Company - Longman, 2nd ed., 2004.
- 11 .Characteristics: Abu Al-Fath Othman bin Jinni, Edited by Muhammad Ali Al-Najjar, Scientific Library, Egyptian Book House Press, Cairo. n.d.
- 12 .Study of Style between Modernity and Heritage: Dr. Ahmad Darwish, Gharib House for Printing, Publishing and Distribution - Cairo, 1998.
- 13 .Evidence of the Miracle: Abdul Qaher Al-Jurjani (d. 471 AH), edited and introduced by: Dr. Dhawan Al-Dayah and Dr. Fayez Al-Dayah, Saad Al-Din Library, Damascus, second edition 1987.
- 14 .Explanation of the Detail: Muwaffaq Al-Din Yaish bin Ali bin Yaish, Alam Al-Kutub, Beirut, n.d.
- 15 .Al-Sahifa Al-Sajjadiyya: by Imam Zain Al-Abidin Abu Muhammad Ali bin Al-Hussein bin Ali bin Abi Talib, Dar Al-Murtada for Printing and Publishing, Beirut, 1st edition, 2005.
- 16 .Fadak in History: Muhammad Baqir Al-Sadr, Dar Al-Ta'aruf for

List of sources and references

- 1 .Al-Ihtijaj: Abu Mansour Ahmed bin Ali bin Abi Talib Al-Tabarsi, edited by Sheikh Ibrahim Al-Bahadli, Dar Al-Aswa for Printing and Publishing, Iran, 1425 AH.
- 2 .Secrets of Stylistic Similarity in the Holy Quran: Dr. Shaltagh Abboud, Dar Al-Rasoul Al-Akram, and Dar Al-Mahjah Al-Bayda, 1st ed., Lebanon, 2003.
- 3 .Stylistics and Style: Dr. Abdul Salam Al-Masdi, Arab House for Books, 3rd ed., 1982.
- 4 .Principles of Grammar: Abu Bakr Muhammad bin Sahl bin Al-Sarraj, edited by Dr. Abdul Hussein Al-Fatli, Al-Risalah Foundation for Printing, Publishing and Distribution - Beirut, 3rd ed., 1996.
- 5 .Generative Transformational Linguistics and Arabic Grammar (Simple Sentence): Michel Zakaria,
- 6 .Linguistic Research: Dr. Ahmed Matloub, Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, 1st ed., 1987.
- 7 .Rhetoric and Stylistics: Dr. Muhammad Abdul Muttalib, Lebanon Publishers Library, Egyptian International Publishing Company - Longman, 1st ed., 1994.
- 8 .Grammatical Structures: Noam Chomsky: Translated by Dr. Joel Youssef Aziz, Reviewed by Majeed Al-Mashta, General Cultural Affairs

- Publishing - Cairo, 1st ed., 1994.
- 22 .Al-Muhtasib in Clarifying the Faces of the Anomalies of Readings and Clarifying Them: Abu Al-Fath Othman Ibn Jinni, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 1st ed. 1983.
- 23 .Al-Muqtabas: Abu Al-Abbas Muhammad Ibn Yazid Al-Mubarrad, edited by Muhammad Abdul Khaliq Azima, Ministry of Endowments - Cairo, 1994.
- 24 .Contemporary Views on the Holy Quran: Muhammad Hussein Al-Sagheer, Dar Al-Mu'arikh Al-Arabi - Beirut, 1st ed., n.d.
- 25 .Shiite Means: Muhammad bin Al-Hassan Al-Hurr Al-Amili, Al-Bayt Foundation - Qom, 1409 AH.
- Publications, Beirut - Lebanon, 1990.
- 17 .In Arabic Grammar, Rules and Application to the Modern Scientific Method: Mahdi Al-Makhzoumi, 3rd edition, 1985.
- 18 .Lisan Al-Arab: Jamal Al-Din Muhammad bin Makram bin Manzur Al-Masry, issued by the Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance - Kingdom of Saudi Arabia, n.d.
- 19 .The Poetic Language: Abbas Mahmoud Al-Akkad, Publications of the Modern Library - Beirut, n.d.
- 20 .The Arabic Language, Its Meaning and Structure: Dr. Tamam Hassan, Egyptian General Authority Press, Cairo 1973.
- 21 .The Word and Meaning between Ideology and the Cognitive Foundation of Science: Tariq Al-Nu'man, Sina

